الحذف التخاطبي في الخطاب القرآني

المدرس الدكتور
كريم دوهان عويز الحمداوي
مديرية تربية الديوانية

الحذف التخاطبي في الخطاب القرآني

المدرس الدكتور
كريم دوهان عويز الحمداوي
مديرية تربية الديوانية

المقدمة :

كان لعلماءِ العربيةِ جهودٌ مميزةٌ في الدرس اللغوي على اختلاف فروعه ، فقد كانوا يصدرون في دراستهم للغة عن رؤيةٍ شاملةٍ مستقاة من تصوراتهم للغة على أنَّها وسيلة للتفاهم ووعاءٌ للفكرِ ، وكانت غايةُ الدراسات اللغوية الوقوف على المعنى ، ومع أنَّ معنى النصِّ و قصديته يقعان تحت سلطة المؤلف إلَّا أنَّه قد يتعدد معنى النصِّ الواحد ، ويعتمدُ ذلك على الطاقة الإيحائية لذلك النصِّ ، فالإيحاء يجعلُ أفقَ النصِّ مفتوحًا على التأويل ومحتملًا للكشف المتجدد ، وهنا يبرزُ دورُ المتلقي المشارك في الكشف عن خفايا النَّصِّ واستحضار دلالته المغيبة ليغدو النّصُّ وحدةً دلالية متكاملة .وقد اهتمت هذه الدراسة بِبُعْدٍ دلاليٍّ يجسده المتلقي ، وهو (الحذف التخاطبي) ويمكن أن نعبَّر عنه بأنَّه بَحْثٌ عن دلالةِ النصِّ المفقود ، وكان الخطاب الكريم الميدان الأمثل والأفق الرحب لإجراء هذه الدراسة ، فجاءتِ الدراسةُ على مبحثين : درستُ في المبحث الأول أنواع الحذف في اللغة ، وحددتُ الفرق بين الحذف النحوي (الصناعي) والحذف التخاطبي ،ودرستُ في المبحث الثاني الحذف التخاطبي في الرؤية والإجراء، وقسمتُه على ثلاثة أقسام : الدلالة الموافقة ، والدلالة المخالفة ، والتراكم الدلالي ، ثم عرضتُ نصوصًا قرآنية دراسةً وتحليلًا ، ثم لخَّصتُ أهمَّ نتائج الدراسة ، ثمَّ ثبتُ المصادرِ والمراجعِ .

المبحث الأول : الحذف الصناعي والحذف التخاطبي

تقوم هذه الدراسة على رؤية دلالية تجمع أركان العملية التواصلية في الخطاب (المتكلم ، المتلقي ، النص ، السياق) ، فاللغة أيًّا كانت تدرس النصوص ، وهذا النصُّ يفرضُ قراءته الممكنة ضمن معطيات دلالية يكشفها القارئ ، وهي تشكل الانطباع المرجعي الذي يتولد عنه ذلك النصُّ ، غير أنَّ هذه الرؤية الدلالية (الحذف التخاطبي)التي تكشف عن النصِّ

المفقود تقع على أرض مشتركة مع ظاهرة نحوية لها جذورها في التراث النحوي ، وهي ظاهرة الحذف والتقدير النحوي (الصناعي) فقد يظنُّ القارئ من أول وهلة أنَّ ثمّة تداخلًا بين هذه الرؤية الدلالية التي تكشف عن النصِّ المفقود وبين ظاهرة الحذف والتقدير النحوي (الصناعي)، لذا صار من المناسب بمكان الوقوف على ظاهرة الحذف والتقدير النحوي في المنظومة النحوية ؛ لغرض محدد وقصد مسدد ألا وهو تميزها .

أولًا : الحذف الصناعي

يعد الحذف ظاهرة لغوية لها حضورها الواسع في اللغات الإنسانية ، وتتجلى وضوحًا في اللغة العربية ، إذ يميل الناطقون في العربية إلى حذف بعض العناصر من الكلام وهي مما يمكن للسامع فهمها بالاعتماد على القرائن المصاحبة عند أمن اللبس .

يأتي الحذف في المنظومة اللغوية بمعنى القطع ، فحَذَفَ "الشيءَ يَحْذِفُهُ حَذْفًا : قَطَعَهُ ... وفي الصحاح : حَذَفَ رأسَهُ بالسيفِ حَذْفًا ضربَهُ فقطَعَ منه قِطْعة" [١]. فالحذف قطع جزء من الكلِّ بحيث يبقى ذلك الكلُّ معلومًا بذاته بعد قطع ذلك الجزء ، فعلى هذا لا أحسبُ أنَّ مفهومَ الحذفِ في ذاكرة المنظومة النحوية قد تدحرج بعيدًا عن هذا المعنى اللغوي ، فقد وردت معالجات إجرائية لهذه الظاهرة غير أنَّها أغفلت التنظير لها .فلم يُعْقَد لظاهرة(الحذف والتقدير) بابٌ في المنظومة النحوية القديمة ، إنَّما جاءت أجزاؤها متناثرة في أبواب النحو ،[٢] وردت دراسة للحذف عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز غير أنَّها معالجة بلاغية بيانية أسلوبية ، [٣] ويُعدُّ ابنُ هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) أوَّل من عالجَ (الحذف والتقدير) بوصفه ظاهرة نحوية ، ويمكن إيجازُ ما عرضَهُ على الوجه الآتي :

١- ذَكَرَ شروطَ الحذفِ وعدَّها ثمانية ، هي[٤] :

(١-١) وجودُ دليلٍ يدلُّ على المحذوف ، وقسَّمَ الدليلَ على قسمين : الأول صناعيٌّ ، وهو ما يختصُّ بمعرفته النحويُّ ؛ لأنَّه إنَّما عُرف من وجه الصناعة النحويَّة ، ومنه قولهم : (قمتُ وأصكُّ عينَهُ) والتقدير في الصناعة : وأنا أصكُّ ؛ لأنَّ واو الحال عندهم لا تدخل على المضارع المثبت الخالي من (قد) [٥]، والآخر:غير صناعي ،ويقسم على حالي ومقالي، والحالي كقولك لمن رفع سوطًا (زيدًا) بإضمار : اضرب ، والمقالي : كقولك (زيدًا) لمن قال : من أضربُ؟ [٦]

(١-٢) ألّا يكون ما يُحذفُ كالجزء من الجملة ، فلا يُحذف الفاعل ولا نائبه . [٧]

(١-٣) ألّا يكون مؤكدًا ، ذكرَ هذا الشرط الأخفش (ت ٣١٨هـ) والزجاج (ت٣١١هـ)

وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) وابن جني (ت ٣٩٣هـ) [٨] .

(١-٤) ألّا يؤدي الحذف إلى اختصارِ المختصرِ، فلا يصحُّ حذفُ اسمِ الفعلِ دون معموله ؛ لأنَّه اختصارٌ للفعل. [٩]

(١-٥) ألّا يكون المحذوفُ عاملًا ضعيفًا ، فلا يُحذف الجار والجازم والناصب للفعل إلّا في مواضعَ قويت بها الدلالة ، وكَثُر فيها استعمال تلك العوامل . [١٠]

(١-٦) ألّا يكون المحذوفُ عوضًا عن شيء ، فلا تُحذف (ما) في قولهم : (أمّا أنت منطلقًا انطلقتُ)[١١] .

(١-٧) ألّا يؤدي حذفه إلى تهيأة العامل للعمل وقطعه عنه . [١٢]

(١-٨) ألّا يؤدي حذفه إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي . [١٣]

يبدو أنَّ ابنَ هشام يسعى إلى حصر (الحذف والتقدير) في التأثير العاملي (نظرية العامل) ، فنلاحظ أنَّه مرَّة يميز بين ما هو من الحذف وما هو ليس من الحذف ، وأخرى يميز بين ما هو حذف نحوي وما هو حذف غير نحوي .

٢- وفي بيان ما هو من الحذف ذكرَ ابنُ هشام أنَّه خالفَ النحويين الذين يرون أنَّ المفعول يُحذف اختصارًا واقتصارًا، ويعنون بالأول: الحذف لدليل،وبالثاني :الحذف لغير دليل .[١٤]

ويمثلون للثاني بقوله تعالى :**{ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين}** [١٥] ،أي أوقعوا هذين الفعلين ، وقوله تعالى : **{ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ }** [١٦] فقد وقع الفعل للفاعل و اقتصر عليه ، ولم يَذْكر المفعول ، ولم يَنْوِهِ ، وقد نزل الفعل هنا منزلة ما لا مفعول له . [١٧]

٣- ذكر أنَّ الحذف ((الذي يلزم النحويَّ النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة ، وذلك بأن يجد خبرًا بدون مبتدأ أو بالعكس ، أو شرطًا بدون جزاء أو بالعكس ، أو معطوفًا بدون معطوف عليه أو معمولًا بدون عامل ...)) [١٨] نحو قوله تعالى :**{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ }**[١٩]، والتقدير هو الله.

٤- عرضَ بعضَ قواعد التوجيه الخاصَّة بتقدير المحذوف ، منها ((القياس أن يقدر الشيء في مكانه الأصلي ؛ لئلا يخالف الأصل من وجهين : الحذف ووضع الشيء في غير موضعه))[٢٠] وفي بيان مقدار المقدر قال : ((ينبغي تقليله ما أمكن لتقل مخالفة الأصل)) .[٢١]

(٥) قسَّمَ ابن هشام الحذف على أربعة أقسام بيانها الآتي :

(١-٥) حَذْفُ بعض أجزاء الجملة ، وهو – كما يرى ابن هشام – مطردٌ ، وقد خصص لهذا النوع مساحة كبيرة ، عالج فيها كثيرًا من مواضع

الحذف ، منها : حذف المضاف إليه ، وحذف اسمين متضايفين ،وحذف ثلاثة متضايفات ،وحذف الموصول الاسمي ، وحذف الصلة ، وحذف المبتدأ ، وحذف الخبر ، وحذف الفعل، وغيرها [٢٢] ، مما نجدها مبسوطة في موضعها .

(٥-٢) حذف الجملة ، وهو – كما يرى ابن هشام – مطرد ومنه حذف جملة القسم ، وحذف جواب القسم ، وحذف جملة الشرط ، وحذف جملة جواب الشرط .[٢٣]

(٥-٣) حذف الكلام بجملته ، ويطرد ذلك في مواضع : أحدها ، بعد حرف الجواب ،يقال : أقام زيدٌ؟ فتقول : نعم ، والثاني : بعد (نعم و بئس) ، والثالث : بعد حرف النداء – إذا قيل أنَّه على حذف المنادى (أدعو) – ، والرابع : بعد (إنْ) الشرطية ، والخامس : في نحو قولهم : (اِفعل هذا إما لا) أي: إنْ كنت لا تفعل غيره فافعله . [٢٤]

(٥-٤) حذف أكثر من جملة ،أشار ابن هشام إلى أنَّ هذا النوع من الحذف غير مطرد، فهو خلافًا لما تقدَّم من الأقسام، قال: ((حذف أكثر من جملة في غير ما ذُكِرَ ، أنشد أبو الحسن :

إن يكن طِبُّك الدّلال فلو في
سالِفِ الدّهر والسِّنين الخوالي [٢٥]

أي : إن كان عادتك الدلال فلو كان هذا فيما مضى لاحتملناهُ منك . وقالوا في قوله تعالى : **{فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى }** [٢٦] ، إن التقدير :فضربوه فحيي فقلنا :كذلك يحيي الله ...)) [٢٧].

بعد هذا العرضِ الدقيقِ للحذفِ عند ابنِ هشام الأنصاري [٢٨] أرى أنَّه من الإنصاف أن أسجِّلَ هذه الحقائق العلمية :

١. عالجَ ابنُ هشام الأنصاري (الحذف والتقدير) بوصفه ظاهرة نحوية ، فقد حدَّدَ أبعادها وميّز أقسامها ، وضعَ شروطها وصاغَ قواعدها ، وأفردَ لها قسمًا خاصًا في كتابه ، قال : ((وإذ قد انجرَّ بنا القول إلى ذكر الحذف فلنوجه القول إليه ، فإنه من المهمات))[٢٩] ، بعد هذا العرض يبدو لي أنَّه من المصادرة ما نسبه الأستاذ الدكتور علي أبو المكارم إلى نفسه ، أنَّه هو من توصل إلى هذه النتيجة ، وأفردَ للحذف والتقدير بابًا ، في حين أنَّ ما قدَّمه هو إعادة ضبط وتوجيه لما طرحَهُ ابنُ هشام ، وسأكتفي بإحالة القارئ إليه .[٣٠] فليس ذا موضع بحثه .

٢- ميَّز ابنُ هشام بين نوعين من الحذف ، الأول : الحذف النحوي ، وهو ما تقتضيه الصناعة النحوية وهو مدار اشتغال النحوي ، وقد وصفه بأنَّه مطَّرد ، والآخر: الحذف غير النحوي ، وأشار إلى أنَّه غير مطرد ، وقد مرَّ بيان ذلك .

٣- تستوقفنا بعضُ العبارات والمفاهيم التي صدرت عن ابن هشام منها : (الحذف النحوي

، والحذف غير النحوي) و (الحذف المطَّرد ، والحذف غير المطَّرد) و (حذف الجملة ، وحذف ما هو أكثر من جملة) و (ما يمكن تحديد ألفاظه عند التقدير ، وما يتعذَّر تحديد ألفاظه عند التقدير) ، إنَّ كل هذه الثنائيات تشكل مفارقة بين هذين النوعين ، الذي يعنينا منها هو النوع الثاني ، فمن خلال جمع أوصافه التي قدَّمها ابن هشام يبدو لي أننا أمام مفهوم للحذف (هو أكثر من جملة ، وغير مطَّرد في حذفه ، وليس للصناعة النحوية نصيب في التعُّرف عليه ، والسياق هو الذي يساعد على تقديره) ، فهذه الأوصاف تقرِّبنا كثيرًا من مفهوم النصِّ في الدرس الحديث ، [٣١] فيكون سعينا وراءَ دلالةِ نصٍّ مفقودٍ ، وهذا النصُ ـ بمفهومه الحديث ـ تُحدَّدُ أبعادُهُ من خلال الدلالة وحدها ، فقد يطولُ وقد يقصرُ إلى حدِّ الجملة بيد أنَّه نصٌّ في دلالته . فالنتيجة نحن أمام نوعٍ من الحذف مختلف في ذاته وطبيعته وشروط تحققه ، فلو جاز لنا أن نسميه فهو (حذف تخاطبي) نبحث من خلاله على دلالة نصٍّ مقطوع من خلال السياق العام لذلك النصّ .

وَجَدَتْ هذه الإشارةُ طريقَها في خلدي وحفرتْ مجراها العميق في نفسي ، فصرت أخصِّصُ لهذا النوع من المعنى دراسة ، فهو نصٌّ مفقودٌ في ألفاظه موجود في دلالته ، أو هو كما وصفه الزجاجُ بأنَّه (دلَّ فيه ما أبقى على ما ألقى) [٣٢] .ولمَّا ((كانت المحذوفات في كتاب الله تعالى لعلم المخاطبين بها كثيرة جدًّا، وهي إذا أُظهرتْ تمَّ بها الكلام ، وحذفها أوجز وأبلغ)) [٣٣] . لذا اتخذت من كتاب الله العزيز ميدانا للدراسة .

ثانيًا: الحذف التخاطبي :

لقد قطعَ علماء أصول الفقه شوطًا طويلًا في بيان دلالة النصِّ[٣٤] ، وأرى أنَّه من المناسب بمكان الاستعانة بجهودهم والانتفاع من النتائج التي انتهوا إليها . فالمنطوق إمَّا أن يدلَّ عليه اللفظ في محل النطق دلالة مباشرة فيسمى (دلالة المنطوق) أو أن يستفاد المعنى من اللفظ في غير محلِّ النطق ويسمى (المفهوم) ، ويقسم المفهوم على قسمين :

الأول : مفهوم الموافقة ، ويعني دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه .

الآخر : مفهوم المخالفة ، ويعني أنَّ دلالةَ اللفظِ على ثبوتِ الحكمِ للمسكوتِ عنه مخالفٌ للحكم الذي دلَّ عليه المنطوق . [٣٥]

فمثال الأول قوله تعالى :**{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}** [٣٦] فالمنطوق به هو حرمة أكل مال اليتيم ، والمفهوم حرمة إتلافه أو إحراقه أو تبذيره ؛ لأنَّه مساوٍ لأكله . ومثال الثاني ، قول الرسول صلى الله عليه وآله : ((في سائمة الغنم الزكاة)) [٣٧] ، دلَّ بمنطوقه على أنَّ في

سائمة الغنم الزكاة ، ودلَّ بمفهومه على أنَّ الغنم المعلوفة لا زكاة فيها .

ومع الدقَّة التي تحراها الأصوليون وعنايتهم في هذا النوع من الدلالة إلَّا أنَّ الأمر عندهم بقي محصورًا في دائرة النصوص (الآيات ، والأحاديث) الدالة على الأحكام الفقهية ، على أنّ هذا هو حدود اشتغالهم ، بيد أنَّ هذه الظاهرة يمكن أن نجدها في اللغة بكثرة . ويمكن أنْ نُدخل فيها بعضَ المواضع التي لم يتحدّث عنها الأصوليون ؛ لأنَّها لم تكن من صميم عملهم ، وهي ما نصطلح عليه التراكم الدلالي ، وسنأتي على بيان هذه الأنواع بعد أنْ نقفَ على نصٍّ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ونُحلله ونُبين ما فيه من نكتٍ دلالية ؛ لغرض أنْ نميَّز الحذف النصي (التخاطبي) من الحذف النحوي إجرائيًا .

ورد في نهج البلاغة أنَّه عليه السلام ((قِيْلَ لَهُ صِفْ لَنَا العَاقِلَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَلامُ : هُوَ الذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ . فَقِيْلَ : فَصِفْ لَنَا الجَاهِلَ فَقَالَ : قَد فَعَلْتُ))[٣٨] وعلَّقَ الشَّريف الرضي على كلامه ، قال : ((يَعْنِي أَنَّ الجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لا يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ ، فكَأَنَّ تَرْكَ صَفَتِهِ صِفَةٌ لَهُ ،إِذْ كَانَ بِخِلَافِ وَصْفِ العَاقِلِ))[٣٩] .

إذا تأملنا هذا النصَّ وحاولنا إعادة مسرحه اللغوي – على لغة الدكتور كمال بشر – ندرك أنِّ ثمَّة متكلمًا ومتلقيًا (مستفهِمًا) ونصًّا وسياقًا وقعَ فيه الخطاب ، وفي ضوء عناصر الخطاب نقفُ على الآتي :

١- إنَّ النصَّ سِيْقَ لقصدٍ (غاية) فهو جواب عن سؤال سائل ، وقد تضمنَّ النصُّ دلالتين كليهما مقصود في قصد المتكلم إيصاله إلى المتلقي (المستفهِم) ، أحداهما : وصف العاقل بألفاظ دلالتها مباشرة ، ظاهرة ، والأخرى: دلالة وصف الجاهل ولم تُوضع لها ألفاظ مباشرة ، فقد اكتفى المتكلمُ بقدرة السامع على إدراك أنّ بيانَ صفة الجاهل بخلاف صفة العاقل المذكورة في النصِّ .

٢- إنَّ الدلالة غير المطابقة ألفاظها غير ظاهرة ، وصوغ ألفاظ لهذه الدلالة ليس من مهمة المتكلم ، إنَّما هي من مسؤولية المتلقي ، فعليه أن يسترجع العناصر المغيبة في النصِّ ، وأنْ يستحضر النصَّ المفقود ؛ لاكتمال المعنى ، وهنا يظهر دور المتلقي في تكوين النصِّ إيجابيًا ، ويكون أكثر تفاعلًا وانسجامًا .

٣- إنَّ دلالة النصِّ المفقود وأنْ كانت واحدة في المعنى إلَّا أنَّها من جهة التركيب الدال عليها (تقدير ألفاظها) متعددة ، فمثلًا يمكن أن يكون التركيب المعبِّر عن الدلالة المفقودة في نصِّ الإمام علي عليه السلام (والجاهل بخلاف ذلك) أو يمكن أن يكون (والجاهل هو الذي لا

يضع الشيء مواضعه) ، وغيرها من التراكيب التي تعبِّر عن تلك الدلالة .

٤- إنَّ الوصول إلى معرفة النص المفقود لا يتوقف على الصناعة النحوية ، بل يُلحظ فيه عناصر التواصل (قصد المتكلم ، حدس المتلقي ، دلالة النص ، سياق النصِّ) فهذه العناصر وحدها المسؤولة عن إرجاع النصِّ المفقود . بهذه الملاحظات ندرك الفرق بين الحذف النحوي (الصناعي) والحذف النصِّي (التخاطبي) . فيكون المبحث القادم مدخلًا لدراسة الحذف النصِّي (التخاطبي) إجرائيًا في الخطاب الكريم ، إن شاء الله .

المبحث الثاني : الحذف التخاطبي في القرآن الكريم (الرؤية والإجراء)

لو أنَّ سيدًا قال لخادمه : لا تعطِ فلانًا دينارًا، لأدرك الخادم أنَّ قصد سيده لا يعطيه دينارًا قصدًا مباشرًا مصرحًا ، وأنَّ عليه أن لا يعطه ما هو أكثر من الدينار أيضا ، وهذه الدلالة مقطوعة من النصِّ ولكنها مرادة في قصد المتكلم ، وهي دلالة مطابقة .

وفي قوله تعالى : **{قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُون}**[٤٠] ندرك بفعل السياق المنطقي لتسلسل أحداث القصة أنَّ ثمَّة نصًّا مقطوعًا ، فبعد قولهم : **{الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ }** الذي يدل على معرفتهم الكاملة بالبقرة انتقل السردُ إلى ذبح البقرة ، وتَرَكَ فراغًا ، وهو الذهاب إلى تلك البقرة ، وشراؤها من أهلها وإحضارها وإعدادها للذبح أمام الناس ثم **{فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُون}** ، وهذا القطع الذي في النصِّ ممكن إرجاعه إلى النصِّ بسهولة ويُسر من قبل المتلقي ، فإن التسلسل المنطقي لأحداث القصة يستدعي النصَّ المقطوع ، وغالبًا ما يكون هذا النوع من الدلالة غير مصرح به ؛ لغرض اختصار السرد ، وإبعاد الملل عن السامع ، وهذا هو (التراكم الدلالي) .

وإذا أردنا جَمْعَ أطراف الحديث ـ من خلال المثالين السابقين، وقول الإمام علي(عليه السلام) ـ قلنا: إنَّ دلالة النصِّ المقطوع (الحذف التخاطبي) تأتي على ثلاث صور: مرة تأتي مغايرة لدلالة النص المنطوق ، كما في قول الإمام علي (عليه السلام) ، ومرَّة تأتي مطابقة لدلالة النصِّ المنطوق ، وأخرى يأتي فيها النصُّ المفقود على أثر تراكم دلالي ، يكشفه التسلسل المنطقي لعرض الأحداث ، وسنأتي على بيان هذه الدلالات وتطبيقاتها الإجرائية في القرآن الكريم بشيء من التفصيل ، إن شاء الله تعالى .

أولًا : الدلالة المطابقة :

تكون دلالة النصِّ المحذوف مطابقة لدلالة النصِّ الظاهر ومساوية لها أو أنَّها تشملها من باب الأولوية ، ويكون سياق النصِّ الظاهر هو

المرشد والموجه لمعرفة هذا النوع من الحذف التخاطبي ، فهو خلاصة علاقة القارئ بالنصِّ الظاهر والظروف المحيطة به ، ويحفظ لنا الخطاب العزيز جملة من هذه الدلالات نقفُ على بعضها :

ـ قال تعالى : {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا} (٤١)

فالمعنى المتحصَّل من قوله تعالى **{ فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ .. }** هو النهي عن التأفيف بوجه الوالدين ، وهذا أقل أنواع الإيذاء ،(٤٢) غير أنَّ دلالة النصِّ ومقصوده لا تقفُ عند هذا الحَّد فقط بل تتجاوزه لتكشف عن دلالة أخرى ألفاظها مقطوعة وبوحي من ذلك النصِّ الموجود وهي أنَّه لا يحل لامرئٍ إلحاق ما هو أشدُّ من التأفيف بالوالدين ، كالضرب والشتم وغيرها من أنواع الأذى ، فإذا كان التأفيف محرم مع قلة الأذى الذي يلحق الوالدين منه فإنَّ تحريم الشتم والضرب أولى منه ، نُفيد من هذا أنَّ في الخطاب العزيز نصًّا مفقودًا غير أنَّ دلالته حاضرة ، يمكن أنْ نصل إليها من إيحاءات النصِّ الموجود ، وهي دلالة توافق دلالة النصِّ الموجود .

ـ قال تعالى :{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه} (٤٣)

دلَّت الآية الكريمة بمنطوقها على أنَّ عمل الإنسان (خيرًا كان أو شرًّا) مهما تناهى في الصغر فأنَّه حاضر عند الله ولا يهمل ،(٤٤) وبإيحاء من هذا المفهوم ندرك أنَّ الأعمال الكبيرة (خيرها وشرها) لا تهمل عند الله ، وذلك من باب الأولوية ؛ لأنَّه إذا كان القليل حاضرًا فحضور الكثير أولى منه ، فالنصُّ بدلالته المباشرة تتوهج عنه دلالة أخرى مطابقة لها في المفهوم غير أنَّ التراكيب الدالة عليها مقطوعة . فهي دلالة نصٍّ مقطوع .

ـ قال تعالى :{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا} (٤٥)

نلمس في الخطاب العزيز وصفًا لبعض اليهود فمنهم من إنْ تأمنه بقنطار من المال يؤده إليك ،(٤٦) ويبدو جليًّا أنَّ في الخطاب العزيز دلالة أخرى (نصًّا مقطوعًا) تُرك للقارئ استرجاع عناصرها المغيبة ؛ ليتمَّ فَهْمُ النصِّ فهمًا كاملًا وإملاء فراغاته ، فإنَّ الذي تأمنه بقنطار من المال ويؤده إليك إنْ تأمنه على ما هو دونه يؤده إليك بطريق الأولوية . وبالتصور نفسه نقفُ على دلالة أخرى في الآية فإنَّ من تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا بالتواصل والمتابعة والمماطلة والإلحاح لا يؤدي ما هو أكثر منه . من ذا نصلُ إلى أنَّ في الخطاب نصًّا مفقودًا دلالته حاضرة ، وهي دلالة توافق النصَّ المنطوق .

ـ قال تعالى :{ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ..} (٤٧)

الاستواء في النصِّ المبارك بمعنى التساوي ، والتساوي مقارنة تتطلب طرفين : الأول (من أنفق قبل الفتح وقاتل) ، وقسيمه محذوف لفظًا موجود دلالةً .(٤٨) فيكون تقدير النصِّ بعد ملء فراغاته : لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل مع من أنفق بعد الفتح ...(٤٩) .

ـ قال تعالى :{وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون} (٥٠)

يطالع المتلقي للنصِّ الكريم مفهومه المباشر ، وهو حرمة أكل أموال الناس بالباطل ،(٥١) غير أنَّ هذه الدلالة تلازمها دلالة أخرى ، وهي حرمة إتلاف أموال الناس أو تبديدها بأيِّ شكل من الأشكال ، ودلالة النصِّ المفقود هذه توافق دلالة النصِّ المنطوق . فتكون دلالة النصِّ المفقود دلالة مطابقة .

ـ ومنها قوله تعالى :{وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُون} (٥٢)

ـ ومنها قوله تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} (٥٣)

ثانيًا : الدلالة غير المطابقة (المغايرة)

تكون دلالة النصِّ المقطوع فيها مخالفةً لدلالة النصِّ المنطوق ، ويمكن أنْ يصل إليها المتلقي من سياق النصِّ فهو الهادي للتعرف على هذه الدلالة .

ـ قال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ..} (٥٤)

نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عن صيد البرِّ حال كونهم مُحْرِمِين ، ثم بين تعالى عقوبة مرتكب تلك المخالفة في تلك الهيأة (الإحرام) : ومن قتله منكم متعمدًا فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم ، فقوله تعالى (متعمدًا) حال من قوله (من قتله) ، فتكون العقوبة على القاتل المتعمد .(٥٥) هذه دلالة النصِّ الظاهر ، غير أنَّنا ندرك أنَّ (التعمد) يقابله (الخطأ) الذي هو في الآية القتل عن غير قصد الفعل ، فتنشأ عندنا هنا دلالة مخالفة لدلالة النصِّ الظاهر ، وهي أنَّ من قتل صيدًا من غير قصد القتل (غير متعمد) فليس عليه ذلك الإثم .

أودُّ هنا أنْ أقفَ بإيجاز على خلاف أهل اللغة في تعليق الحكم على أحدى صفتي الذات ونفيه عمّا عداها لغة ، فمثلا (القاتل غير المتعمد) هل تنتفي عنه الصفة المقابلة وهي (القاتل المتعمد) أو لا تنتفي ؟ فقد نقل أبو عبيد القاسم بن سلام (٥٦) (ت ٢٢٤هـ) هذا الخلاف . واحتجَّ القائلون بنفي الحكم عن الصفة الأخرى

بأنَّه لو لم يدلّ على تعليق الحكم عن أحدى صفتي الذات على نفيه عن الصفة الأخرى لما فَهِمَ أهلُ اللغةِ ذلك [٥٧]. وقد انعكس هذا الخلاف اللغوي على الفقهاء في تفسير نحو ما نُسب إلى الرسول صلى الله عليه وآله من حديث : ((ليُّ الواجد يحل عقوبته ..))[٥٨] . واللّيُّ : المطل ، والواجد : الغني، إحلال عقوبته : حبسه . قال أبن سلَّام : ((ليُّ الواجد ، فقال : الواجد ، فاشترط الوجد ، ولم يقل : ليُّ الغريم ، وذلك أنه قد يجوز أن يكون غريمًا وليس بواجد ، وإنَّما جعل العقوبة على الواجد خاصة ، فهذا يبين لك أنه من لم يكن واجدًا فلا سبيل للطالب عليه بحبس ولا غيره حتى يجد ما يقضي)) [٥٩].

ـ قال تعالى :{يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ} [٦٠]

في الآية الكريمة بيان لصورة تحديد الميراث في الأبوين ، بمعنى أنَّه لم يكن للميت ولدٌ مطلقًا ، وانحصر إرثه في الأبوين فقط ، [٦١] فالآية الكريمة تصرح بمقدار نصيب الأم من الميراث ، وهو الثلث ، وسكتت عن بيان مقدار نصيب الأب ، فقد تركت بيان مقداره للمتلقي لمَّا أحرزت قدرته على الوصول إليه ؛ لوضوحه فإذا كان الميراث محصورًا بالأبوين فقط وكانت حصَّة الأم الثلث ، فإنَّ الباقي حصة الأب ، وهو الثلثان، فقد قُطِعَ التركيب الدال على نصيب الأب ، والوصول إليه بهذه الحركة الذهنية البسيطة ، أو لعل الوصول إلى دلالة النصِّ المفقود بالاعتماد على أول الآية التي نصَّتْ على أنَّ :**{لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ }**، فإذا انحصر الميراث بالأبوين (الذكر والأنثى) ، فيقسم على ثلاثة حصص واحدة للأنثى (الأم) واثنان للذكر (الأب) بحسب هذه القاعدة ، فإذا عُلِمَتْ حصةُ الأنثى (الأم) سَهُل على المتلقي الوصول إلى حصَّة الذكر (الأب) ، وهي الباقي الذي هو الثلثان ، و أيًّا كانت الطريقة التي يصل من خلالها المتلقي إلى دلالة النصِّ المفقود فهي بإيحاء من النصِّ المنطوق، وهي دلالة غير مطابقة لدلالة النصِّ المنطوق . ويمكن تقدير النصِّ المفقود على النحو الآتي : (ولأبيه الباقي) أو (والباقي لأبيه) أو (ولأبيه الثلثان) وغيرها من التراكيب التي تُظهر لنا المعنى نفسه .

قال تعالى : {قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى}[٦٢]

الآية الكريمة جواب عن سؤال بدلالة قوله تعالى (قل) والسؤال في الآية السابقة وهو ((لولا يأتينا

بآية من ربه)) [٦٣] ، فالمعنى أنَّ كلَّ فريقٍ متربصٌ بالآخر ، فالمشركون متربصون بالمؤمنين والمؤمنون متربصون بالمشركين ، [٦٤] غير أنَّ النصَّ كشف للمتلقي نتيجة طرف لقوله تعالى : ((فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى)) ، وبقي الطرفُ الآخرُ لم يُظهره النصُّ ؛ لأنَّه لمَّا تبيَّنت نتيجةُ طرف (أصحاب الصراط السوي) ، صار من اليسير على المتلقي معرفة نتيجة الطرف الآخر ، إذ إنَّ نتيجتهم مقابلة لنتيجة الطرف الآخر ومخالفة لها ، وإنْ لم يُصرح بها في اللفظ ، فدلَّ ذلك على أنَّ في النصِّ دلالةً ظاهرةً لنصٍّ مفقود ، يمكن أنْ يكون تقدير الكلام : فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن هم أصحاب الضلالة . أو غيرها من التراكيب التي تؤدي المعنى نفسه. وهذه الدلالة غير مطابقة لدلالة النصِّ الظاهر .

ـ ومنها قوله تعالى : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ..} [٦٥]

ـ ومنها قوله تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون} [٦٦]

ـ ومنها قوله تعالى : {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُون} [٦٧] .

ثالثا : التراكم الدلالي

ليس من الضروري أنْ يقولَ المتكلمُ كلَّ شيء عن الحدث الذي ينقله ، ربَّما يَتركُ للقارئ فرصةَ المشاركة في الخطاب وإملاء فراغات النصِّ ، وقد يكون من غير المناسب أن ينقل المتكلم كلَّ الأحداث التي تخصُّ الخبر الذي يريد إيصاله للمتلقي ، لأنَّ مقام الحديث يطول وتتسع دائرته ؛ لذا يلجأ المتكلم إلى الاستغناء عن بعض التفاصيل التي لا حاجة لها عند نقل الحدث ، و فوق ذا قدرة المتلقي على استدعائها واستحضارها لتمام المعنى ؛ لأنَّ الكلام لا يتَّسق بدونها ، وهذه ((المحذوفات في كتاب الله تعالى لعلم المخاطبين بها كثيرة جدا، وهي إذا ظهرت تمَّ الكلام ، وحذفها أوجز وأبلغ)) [٦٨] ، ومنها :

ـ قال تعالى : {قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِين يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيم وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِين} [٦٩] .

متى أنعمنا النظر في النصِّ وتأملنا أحداث القصة أدركنا أنَّ ثمَّة نصًّا مفقودًا في القصة ، فقد انتقل السرد من بعد المشورة على فرعون ـ بأن يأتي بالسحرة ـ إلى حضور السحرة مباشرة ، وأغفلت قبول فرعون بهذه المشورة ، ثم استدعاء السحرة ، ثم تحديد يوم للمواجهة بينهم وبين موسى (عليه السلام) ، فهذا التتابع للأحداث يكشف لنا عن نصٍّ مفقود في القصة ،غير أن دلالة هذا النصِّ حاضرة ، يمكن للمتلقي

استدعاؤها لتمام المعنى ، وهذا الإيجاز يكشف لنا ما في بنية النصِّ القرآني من نظام أسلوبي متكامل ،وطاقة إيحائية متجددة ، ولقد بين السيد الطباطبائي (رحمه الله) دلالة النصِّ المفقود ، قال :((أي فأرسل حاشرين فحشرهم وجاء السحرة كل ذلك محذوف للإيجاز))[٧٠] .

ـ قال تعالى : {وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون }[٧١]

من خلال تتابع السرد لأحداث القصة ندرك أنَّ ثمَّة نصًّا مفقودًا في الخطاب إذ انتقل السرد من وصية أم موسى (عليهما السلام) لابنتها بأن تتبع أثر موسى (عليه السلام) إلى قوله ((فبصرت به)) ، فقد أُهملت كل خطوات التتبع التي مرت بها أخت موسى ، وكلها حُذفت لعلم المخاطب بها ،((والمعنى : وقالت أم موسى لأخته اتبعي أثر موسى حتى ترين إلى مَ يؤول أمره فرأته عن بعد وقد أخذه خدم فرعون وهم لا يشعرون أنَّها تقصّه وتراقبه))[٧٢] .

ـ قال تعالى :{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُون فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ } [٧٣] .

النسق المنطقي للقصة من خلال تتابع تسلسل أحداثها ((يدلُّ على أن هناك حذفًا كأنه قيل : وحرمنا عليه المراضع غير أمه من قبل أن تجيء أخته فكلما أتوا له بمرضعة لترضعه لم يقبل ثديها فلما جاءت أخته ورأت الحال قالت عند ذاك لآل فرعون : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه وهم له ناصحون ..)) [٧٤] .

قال تعالى : {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُون} [٧٥] .

لكي تغدو القصة واقعة خطابية لها مقبوليتها المنطقية لابدَّ للقارئ من استرجاع ما غابَ من عناصر النصِّ فإنَّ القارئ يدرك أنَّ ثمَّة أحداثًا قد قُطعت من النصِّ ، فإنَّ طلبَ الساقي من الملك أنْ يرسله إلى يوسف (عليه السلام) لتفسير الرؤيا هو حوار بين الساقي والملك ، ثم ينتقل السرد ليصوِّرَ حوارَ الساقي مع يوسف (عليه السلام) ، وكون الخطاب بصورة النداء فهو ((مؤذن بقول محذوف في الكلام ، وإنَّه من قول الذي نجا و ادكر بعد أمة . وحذف من الكلام ذكر إرساله ومشيه ووصوله ، إذ لا غرض فيه من القصة . وهذا من بديع الإيجاز)) [٧٦] . لا جرم أنَّنا أمام نصوص في الخطاب مقطوعة في ألفاظها غير أنها حاضرة في دلالاتها ، فالمعنى لا يكتسب صفته المنطقية إلَّا من خلال دلالة النصِّ المقطوع . وهذا ما نصفه بالتراكم الدلالي .

ـ ومنها قوله تعالى :{ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِين وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُون قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم} (٧٧) .

ـ ومنها قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُون}(٧٨)

ـ ومنها قوله تعالى : {قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِين يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيم وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِين}(٧٩) .

ـ ومها قوله تعالى : {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُون}(٨٠) .

نتائج الدراسة :

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ حمدًا يوافي عظيمَ نعمه و يكافئ جليلَ مننه ، وبعد رحلةِ البحثِ والمفاتشة والتنقيب والمناقشة أُلخِّصُ أهمَّ النتائج التي وردت في البحث :

١- ميزت الدراسة بين نوعين من الحذف أحدهما الحذف النحوي ، وهذا قد حظي بنصيب وافرٍ من الدراسة ، والآخر : الحذف التخاطبي (الحذف الدلالي) وهو ما كشفت عنه الدراسة ، ولم يحظَ بنصيبٍ وافرٍ من قبلُ .

٢- قسمت الدراسة الحذف التخاطبي (الحذف الدلالي) على ثلاثة أقسام : الأول ، الدلالة المطابقة ، والثاني : الدلالة غير المطابقة (المغايرة) ، والثالث : التراكم الدلالي .

٣- كشفت الدراسةُ أنَّ الوسيلةَ الوحيدة لوصول المتلقي إلى هذه الأنواع من الدلالة المقطوعة (الدلالة المطابقة ، الدلالة غير المطابقة ، التراكم الدلالي) هو السياق ، وأنَّ المتلقي هو من يعيد أنتاج النصِّ دلاليًا بعد إملاء فراغاته بما يتناسب مع قصدِ المتكلمِ .

٤- بيَّنتِ الدراسة أنَّ الحذفَ التخاطبي يكون بقصدِ المتكلمِ ، وغالبًا ما يحققُ هذا الحذف أغراضًا بلاغية ، أهمها الإيجاز ، وإشراك المتلقي في إنتاج النصِّ ؛ لأجل أن يكون فاعلًا ، ومتفاعلًا مع النصِّ.

٥- كشفت الدراسة عن دقَّةِ القرآنِ الكريم في استعمال هذا النوع من الحذف (الحذف التخاطبي) ، لِمَا في بنيته من نظام أسلوبي متكامل وطاقة إيحائية متجددة ، ويعدُّ الحذف التخاطبي من أسرار التعبير القرآني .

الهوامش :

(١) لسان العرب ، ابن منظور : ٣٩/٩ – ٤٠ (حَذَفَ)

(٢) أجرى الأستاذ الدكتور عبد السلام هارون إحصاء دقيقًا لمواضع الحذف في كتاب سيبويه ، ينظر: ٥/ ٢٩٨– ٣٠٠ ، والأمر نفسه عند الأستاذ الكبير عبد الخالق عضيمة ، في المقتضب للمبرد ،ينظر: ٢٠٦– ٢٠٩ ، وينظر: الأصول ، ابن السراج :٣٢٤/٢ .

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ١٤٦–١٧٢ .

(٤) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام : ٢/ ٥٥٧ –٥٧٥ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٥٦٩ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه :٢ / ٥٦٧ – ٥٦٨.

(٧) ينظر :المصدر نفسه :٢ / ٥٧١ .

(٨) ينظر :المصدر نفسه :٢ / ٥٧٢ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه : ٥٧٢/٢ .

(١٠) ينظر: المصدر نفسه : ٥٧٣/٢ .

(١١) المصدر نفسه : ٢/ ٥٧٣ . للنحويين في تحليل هذه الجملة تكلُّفٌ كبيرٌ ، فقد ذكروا أن "كان " اختصت من بين أخواتِها بأنّها تعملُ محذوفةً ، ومن صورِ حذفِها أنّها تحذفُ وجوباً إذا سبقتها "أنْ" ، وعوّض عنها بـ"ما" ، وكان اسمُها ضميراً متصلاً للمخاطبِ ، مثل : أمّا أنتَ منطلقاً انطلقتُ معك ، فأصلُه : أنْ كنتَ منطلقاً انطلقتُ معك ، فحذفتْ "كان" وعُوِّض عنها بـ"ما " ، ثمَّ انفصلَ الضميرُ ، وأُدغمت النونُ الساكنةُ من "أنْ" في ميم "ما" ، فانتهت "أمّا" . وقد أنكر الدكتور إبراهيم السامرائي أن تكون العرب قد تكلمت بنحو هذا التركيب ، ينظر : من سعة العربية : ١٦٠– ١٦١ ، وقد ورد تفصيل هذه المسألة لدى أحد الباحثين ، ينظر: النحو الكوفي في شرح الرضي على الكافية : ١٢٤– ١٢٨ .

(١٢) ينظر: المصدر نفسه : ٢/ ٥٧٣ .

(١٣)ينظر: المصدر نفسه : ٥٧٣/٢ .

(١٤) ينظر : المصدر نفسه : ٥٧٥/٢ .

(١٥) البقرة : ٦٠ .

(١٦) البقرة : ٢٥٨ .

(١٧) ينظر مغني اللبيب : ٥٧٥/٢ .

(١٨) المصدر نفسه : ٢/ ٦١٥ .

(١٩) العنكبوت : ٦١ .

(٢٠) مغني اللبيب :٢/ ٥٧٦ .

(٢١) المصدر نفسه : ٢/ ٥٧٨ .

(٢٢) ينظر :المصدر نفسه : ٢/ ٥٨٥– ٦١٦ .

(٢٣)ينظر :المصدر نفسه : ٦١٠/٢–٦١٢ ، وينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة : ٢٨٤– ٢٩٣

(٢٤)ينظر :المصدر نفسه : ٦١٤/٢ .

(٢٥) البيت لعبيد بن الأبرص ، ينظر : ديوان عبيد بن الأبرص : ٩٦ .

(٢٦) البقرة : ٧٣ .

(٢٧) مغني اللبيب :٢/ ٦١٥ .

(٢٨) أود أنْ أنبه القارئ أنني نقلت ما ورد عن ابن هشام نقلًا وصفيًا من دون أنْ أخضعه للنقد ؛ لأنَّه سِيْقَ لهدفٍ محددٍ وقصدٍ مسددٍ ، فأتمنى أنْ يُقرأ هذا العرض في ضوء هذا القصد لا غير .

(٢٩) مغني اللبيب : ٢/ ٥٦٧ .

(٣٠)ينظر: الحذف والتقدير في النحو العربي : ١٩٩– ٢٩٨ .

(٣١) إنَّ المفهوم الاصطلاحي لكلمة نصٍّ مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر . هو كغيره من المفاهيم الوافدة من الغرب في شتى العلوم الحديثة ، لذا أعتمد الدارسون العرب في مجال علم النصِّ على المفاهيم

الغربية ، ومع كثرة التعريفات التي وضعت لعلم النصِّ سنقف عند تعريف هاليداي (Halliday) ورقية حسن (Ruqaia Hasan): ((إنَّ كلمة نصّ تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أية فقرة مكتوبة أو منطوقة ، مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة)) ينظر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، د أحمد عفيفي : ٢٢ . وللتعرف على تعريفات علم النص ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، فان دايك : ١٤ . ومدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، د محمد الأخضر الصبيحي : ١٨ – ٢٣ .

(٣٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه : ٤٧/٢ .

(٣٣) الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي :٧٩

(٣٤) ينظر : المستصفى في علم الأصول ، الغزالي : ٣/ ٤١١، وإتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه :٦/ ٣٨٦–٣٨٨ ، والواضح في أصول الفقه ، أبو الوفا البغدادي : ٢٨٥/٣ ، والبحر المحيط في أصول الفقه ، الزركشي : ٣٧/٥ ، وأصول الفقه ، الشيخ المظفر : ١ / ٩٦ .

(٣٥) ينظر المستصفى من علم الأصول : ٣ /٤١١– ٤١٢ ، والأصول للشيخ المظفر : ١ / ٩٧ – ٩٨ ، والمهذب في علم أصول الفقه المقارن ، د عبد الكريم النملة : ٤/ ١٤٤١ ، ١٤٦٣ .

(٣٦) النساء :١٠ .

(٣٧) ينظر: صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب زكاة الغنم :١/ ٣٥٣–٣٥٤ .

(٣٨) نهج البلاغة للإمام علي (ع)، شرح محمد عبده : ٥٤٩ . وينظر شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٩/ ٦٦ ، و غرر الحكم ودرر الكلم ، القاضي ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد الآمدي : ٤٥ الحكمة (١٢٦٧) .

(٣٩) نهج البلاغة ، محمد عبده : ٥٤٩ .

(٤٠) البقرة : ٧١ ، ينظر في تفسير الآية البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي : ٤٢١/١– ٤٢٢، ودراسات لأسلوب القرآن العظيم ، الأستاذ عبد الخالق عضيمة : ٣/ ٤٦٩ .

(٤١) الإسراء :٢٣ .

(٤٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٤٦٧/٨ .

(٤٣) الزلزلة : ٧– ٨ .

(٤٤) ينظر تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير بمفاتيح الغيب ، الرازي : ٣٢/ ٦١ .

(٤٥) آل عمران : ٧٥ .

(٤٦) ينظر تفسير الطبري (جامع البيان عن تفسير آي القران) ، الطبري : ٥١٩/٦ .

(٤٧) الحديد : ١٠ .

(٤٨) ينظر: الميزان : ١٩/ ١٦٠ .

(٤٩) ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم : ٣/ ٤٦٩ .

(٥٠) البقرة : ١٨٨ .

(٥١) ينظر : مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى : ٤٠ .

(٥٢) المائدة : ٥٦ ، ينظر في تفسير الآية : تفسير الطبرسي ، أبو على الفضل بن الحسين الطبرسي : ٣/ ٢٩٥– ٢٩٩ .

(٥٣) النساء : ١٠ ، وينظر في تفسير الآية : تفسير الطبرسي : ٣/ ٢٢ .

(٥٤) المائدة : ٩٥ .

(٥٥) ينظر: الميزان : ٦/ ١٣٨ – ١٣٩ ، وتفسير التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن عاشور : ٧/ ٤٢– ٤٥.

(٥٦) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الإمام البارع في اللغة ، والتفسير والحديث والقراءات والفقه . ينظر طبقات السبكي : ١٥٣/٢ ، ومعجم الأدباء : ١٦ / ٢٥٤ ، و وفيات الأعيان : ٢٢٥/٣ ، و إنباه الرواة ١٢/٣ .

(٥٧) ينظر غريب الحديث ، أبو عبيد القاسم بن سلَّام : ٢/ ١٧٥ .

(٥٨) ينظر : صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم مطل الغني : ٣/ ١١٩٧ .

(٥٩) غريب الحديث : ٢/ ١٧٥ ، وبيان المختصر مختصر شرح ابن الحاجب ،شمس الدين الأصفهاني : ٢/ ٤٥٠ –٤٥١ .

(٦٠) النساء : ١١ .

(٦١) ينظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى السبزواري : ٧/ ٣٢٦ .

(٦٢) طه : ١٣٥ .

(٦٣) طه : ١٣٢ .

(٦٤) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري : ٤ /١٢٣ .

(٦٥) النساء : ٩٢ . وفي تفسير الآية ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن : ٩/ ١٥٢ .

(٦٦) الأنبياء :١٠١ ، وينظر في تفسير الآية : الميزان : ١٤/ ٣٢٩ .

(٦٧) الأنبياء: ١٠٥ ، وينظر في تفسير الآية : الميزان : ١٤/ ٣٣١ .

(٦٨) الرد على النحاة : ٧٩ .

(٦٩) الأعراف : ١١١– ١١٣ .

(٧٠) الميزان : ٨ / ٢٢٠ .

(٧١) القصص: ١١

(٧٢) الميزان : ١٦/ ١٣ .

(٧٣) القصص : ١٢، ١٣ ، وينظر في تفسير الآية ، تفسير ابن كثير : ٤٤٥/١٠ .

(٧٤) الميزان : ١٣/١٦ .

(٧٥) يوسف : ٤٥ ،٤٦ .

(٧٦) تفسير التحرير والتنوير : ١٢ /٢٨٤ . وينظر الكشاف : ٣/ ٢٩٢ ، والمحرر الوجيز : ٥ / ٩٧ .

(٧٧) يوسف : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ . ينظر في تفسير الآية : تفسير الرازي : ١٨ / ١٩٢–١٩٤ .

(٧٨) الأعراف : ١١٧ . وينظر في تفسير الآية : تفسير الطبري : ١٣/ ٢٩ .

(٧٩) الأعراف : ١١١، ١١٢ ، ١١٣. وينظر في تفسير الآية : تفسيرالطبري : ١٣ / ٢٤ ، و الميزان : ٨ / ٢١٥.

(٨٠) البقرة : ٧١ ، ينظر في تفسير الآية : تفسير البحر المحيط : ١ / ٤٢١– ٤٢٢ ، ودراسات لأسلوب القرآن : ٣ /٤٦٩ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه ، شرحه الدكتور عبد الكريم النملة، ط١، دار العاصمة، ١٤١٧هـ –١٩٩٦م.

٢. أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٣. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج ، حققه: د. عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م .

٤. إنباه الرواة على أنباء النحاة ، جمال الدين بن يوسف القفطي ، حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ، د ط .

٥. البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي ،حققه: الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، ط٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ،١٤١٣م –١٩٩٢م .

٦. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ، شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني ، حققه : د محمود مظهر بقا ، مطبوعات جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، أم القرى ، د ط ،د ت .

٧. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسيّ ، حققه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م .

٨. تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر، ١٨٨٤هـ ، د ط.

٩. تفسير الطبريّ جامع البيان عن تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ ، حققه: محمود محمد شاكر، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة

١٠.تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام محمد الرازيّ، ط١، دار الفكر، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م ..

١١.تفسير القرآن العظيم، ابن كَثير الدمشقي، حققه : مصطفى السيد محمد، وآخرون، مؤسسة قرطبة ، الجيزة، ومكتبة أولاد الشيخ للتراث ، د ط ، د ت.

١٢.الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، د فاضل صالح السامرائي ، ط٢ ، دار الفكر ، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٧م .

١٣.الحذف والتقدير في النحو العربي ، د على أبو المكارم ، ط١، دار غريب القاهرة . ٢٠٠٧م .

١٤.دراسات لأسلوب القران الكريم، الأستاذ الشيخ عبد الخالق عضيمة، ، دار الحديث، القاهرة، د ط ، د ت .

١٥.دلائل الإعجاز ،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر، ط٣ ، دار المدني ، القاهرة ، ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م .

١٦.ديوان عبيد بن الأبرص ، شرح أحمد عدرة ، ط١ ، دار الكتاب العربي ،بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٧.الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي ، حققه : د شوقي ضيف ، دار المعارف ، د ط ، د ت .

١٨.شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، د ط ، د ت .

١٩.صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل البخاري ، ط١، دار ابن كثير، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٤ م .

٢٠.صحيح مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الكتب العربية،١٤١٢ هـ– ١٩٩ م .

٢١.طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين عبد الوهاب بن على السبكي ، حققه : د محمود محمد الطناحي ، وآخر ، ط١ ، مطبوعات عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ .
٢٢.ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، د طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٨م ، د ط .
٢٣.علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، فان دايك ، ترجمة : سعيد بحيري ، ط٢ ، دار القاهرة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م.
٢٤.غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس عن كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، القاضي ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي ، ترتيب و تدقيق : عبد الحسين ذهيبي ، ط١، دار الهادي بيروت – لبنان ، ١٤١٣هـ –١٩٩٢م .
٢٥.غريب الحديث ، أبو عبيد القاسم ابن سلام الهروي ، ط١ ، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .
٢٦.الكتاب، سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، حققه: د. عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
٢٧.الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، العلامة جار الله الزمخشري، حققه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط١، مكتبة العبيكان، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م .
٢٨.لسان العرب، الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأفريقيّ المصري ، دار صادر، بيروت، د ط، د ت.
٢٩.مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، حققه : محمود فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د ط ، د ت .
٣٠.مجمع البيان في تفسير القرآن، تأليف أمين الإسلام الطبرسي، ط١، دار العلوم للتحقيق والطباعة ، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م .
٣١.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري، وآخرون ، ط٢، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
٣٢.مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، د محمد الأخضر الصبيحي ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر ، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م .
٣٣. المستصفى من علم الأصول، الإمام أبو حامد الغزالي ، حققه: د. حمزة بن زهير حافظ، د ط، د مط .
٣٤.معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج حققه: د. عبد الجليل عبده شلبي، خرج أحاديثه علي جمال الدين محمد، دار الحديث – القاهرة، ٢٠٠٤م ،د ط .
٣٥.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، حققه : د مازن المبارك ، و آخر ، ط١ ، دار الفكر ، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م .
٣٦.المقتضب ،أبو العباس محمد بن يزيد المبّرد ، حققه: الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م ، د ط.
٣٧.من سعة العربية ، د.إبراهيم السامرائي، ط١، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٣٨.المهذب في علم أصول الفقه المقارن، د.عبد الكريم النملة، ط١، مكتبة الشد، الرياض، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.
٣٩.مواهب الرحمن في تفسير القرآن، تأليف السيد عبد الأعلى السبزواري، ط٥، دار نكين، إيران، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م .
٤٠.الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد

حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ١٩٩٧م.
٤١.نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، د أحمد عفيفي ، ط١ ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
٤٢.النحو الكوفي في شرح الرضي على الكافية، كريم دوهان عويز، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٣م.
٤٣.نهج البلاغة : شرح الشيخ محمد عبده، د ط ، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت – لبنان، د ت.
٤٤.الواضح في أصول الفقه، أبو الوفا علي بن عقيل البغدادي الحنبلي ، حققه: عبد الله بن محسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٤٥.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، دار صادر، بيروت ، ١٣٩٨هـ .

Abstract

Arab scientists had distinctive efforts in the linguistic lesson of different branches. They issued in their study of the language on a comprehensive vision derived from their perceptions of language as a means of understanding and container of thought. The inspiration makes the text horizon open to interpretation and potential for renewed revelation. Here comes the role of the recipient involved in uncovering the hidden texts and invoking its hidden meaning to make the text an integral unit. This study was carried out with a symbolic dimension that is reflected by the recipient, which is the "dialectical deletion". It can be expressed as a search for the meaning of the missing text. The speech was the ideal field and the preferred horizon for conducting this study. The study came in two sections: The difference between the grammatical deletion (syntactic) and the deletion of the discourse, and examined in the second section the deletion of the communication in the vision and procedure, and divided into three sections: the significance of consent, and the significance of the violation, and the cumulative significance, and then presented texts Quranic study and analysis, and then summarized the main results of the study, T. Sources and references.